٢ ـ عبد الله بن سبأ

للدكتور جواد على

وجاء فى تأريخ الطبرى : « كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء »[1]. واكتفى فى مواضع أخرى من تأريخه « ابن السوداء » [2] وفى العبارة الأولى شرح لكلمة « ابن السوداء » ويدل ما ذكره الطبرى على أن أم عبد الله كانت سوداء اللون وأنها كانت قريبة من الزنوج أو من أصل زنجى قريب أو بعيد ، وأن أباه كان من اليمن وإن كنا لا نعرف اسمه كما لا نعرف اسم أمه ، وأنه كان يهودياً إلى أيام عثمان .

وفى البيان والتبيين » [3] حديث جاء فى بعض فقراته « فلقينى ابن السوداء وهو ابن حرب » ولست فى شك من أنه يقصد « بابن السوداء » عبد الله بن سبأ الذى يتحدث عنه أصحاب كتب الفرق ، لأن المقالة المنسوبة إلى هذا الرجل هى نفس المقالة التى ينسبها الرواة الآخرون إلى عبد الله بن سبأ ، كما يذكر مؤرخون ورواة أن « ابن سبأ » هو « ابن السوداء » فهل عرف الجاحظ ذلك ، أم أنه قصد شخصاً آخر ؟ على كل حال فالمهم فى الرواية أنه نص على اسم والد « ابن السوداء » فدعاه « حرباً » ولكن أى « حرب » هو ؟ فهنالك مئات من الأشخاص عرفوا بحرب . ثم من كان والد حرب ؟ ومن أى قبيلة كان ؟ ذلك ما لم يتحدث عنه الجاحظ ولا غير الجاحظ من الكتاب أو الرُّواة أو المؤرخين . وقد فرَّق بعض الرُّواة بين « عبد الله بن السوداء » و« عبدالله بن سبأ » فجعلوا كل واحد منهما شخصاً ، ومن هؤلاء ابن عبد ربه ، والبغدادى ، ومن أخذ عنه مثل الاسفرائينى . ويعتقد المستشرق « إسرائيل فريد لندر » أن هذا التفريق الذى جاء فى كتاب « البغدادى » سببه الرواية المنسوبة إلى الشعبي ونصها : « وقد ذكر الشعبي أن عبد الله ابن السوداء كان يُمين على قولها . وكان ابن السوداء فى الأصل يهودياً من أهل الحيرة فأظهر الإسلام وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة فذكر لهم أنه وجد فى التوراة أن لكل نبي وصياً [1] إلى آخر الرواية ، وكان قد ذكر قبل ذلك اسم « عبد الله بن سبأ » فحدث هذا الاختلاف ولكنه كان يقصد فى الواقع شخصاً واحداً لا شخصين[2]

ويظهر مثل هذا الاختلاف ولكن بصورة أخرى فى موضع من كتاب « العقد الفريد » للفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى المتوفى سنة ٣٢٨ للهجرة . فى الموضع الذى ذكر فيه رواية مفصلة للشعبي عن « الرافضة » — وأكثر الروايات التى تتعرض لبحث الرافضة هى من روايات الشعبي — جاء فيها « وقد حرقهم على بن أبى طالب رضى الله عنه بالنار ، ونفاهم إلى المدائن : منهم عبد الله بن سبأ ، نفاه إلى ساباط ، وعبد الله ابن السَّبَّاب ، نفاه إلى الحاذر ، وابن كروس » . فذكر الشعبي فى روايته هذه اسم شخصين : « عبد الله بن سبأ »

---

(١) الطبرى ج ٥ ص ٩٨ (طبعة الطبعة الحسينية) .
(٢) الطبرى ج ٥ ص ٦٦ ومواضع أخرى .
(٣) البيان والتبيين ج ٣ ص ٦ ٤ طبعة السندوبى القاهرة سنة ١٩٢٧

---

(١) الفرق بين الفرق فى بحث الشيعة والغلاة . ص ٢٢٣
(٢) Israel Friedländer . Jeuer . 2 . S 28

المازنى ومحمد جلال وكامل سليم وأحمد زكى والعبادى وعوض محمد وفريد أبى حديد ومحمد بدران .

فالمسألة إذن مسألة البيئة والاستعداد لا مسألة الزمن الطويل أو القصير .

ولا فضل لمدرسة ننتظرها خمسين سنة لتخرج لنا أديباً أو جملة أدباء ؛ فإن تعليم المدرسة برنامج محدود السنوات ، وليست هى أمة تتولد فيها الأجيال وتحسب أطوارها بالعشرات من السنين . وإذا تم برنامج بعد برنامج ولم نشعر لتمامه بأثر فى النهضة الأدبية فذلك هو الإفلاس بعينه ، أو ذلك هو الدليل على أن الأديب الذى يخرجه لنا نصف قرن من الزمان هو وليد الأمة فى تطورها وليس وليد المدرسة التى كان ينبغى أن تعطيه ثمرتها فى بضع سنوات .

حقق الله أمل الأستاذ فى النتيجة الطيبة ، ولكن قبل خمس وعشرين سنة إن شاء الله ...!

عباس محمود العقاد

و « عبد الله بن السباب » والذى يطالع هذا الوضع يتصور أنه الغانى من زعماء الغلاة فى حب على بن أبى طالب ، وأنه كان من حزب عبد الله بن سبأ ، وأن اسم والده هو السباب »

ولكن إذا ما درسنا كتب الفرق وجدنا أنها تسمى أتباع عبد الله بن سبأ « السبائية » كما تسميهم « السبابية » فى ذات الوقت . جاء فى كتاب البغدادى « الفرق بين الفرق » « الفصل الأول من فصول هذا الباب ، فى ذكر قول السبابية ، وبيان خروجها عن ملة الإسلام . السبابية أتباع عبد الله بن سبأ الخ »(١) وقد تكرر ورود هذه التسمية فى كتب أخرى . وأرى أنها لم تأت عن اشتباه أو عن خطأ فى الكتابة ، بل جاءت من سبّهم الخلفاء . وقد ظهر السبُّ بينهم على مايظهر قبل أيام عثمان . ولما جاء الإمام إلى العراق أنكر عليهم ذلك . وظلت فرقة منهم ماضية فى سبها ، كما سبّ الخوارج سائر الصحابة ممن اشترك فى الحوادث السياسية منذ عهد عثمان فما بعد . والظاهر أن القدماء كانوا يطلقون على تلك الجماعة «السبابية» وعلى الواحد منهم «السبابى» نسبة إليهم تمييزاً لهم عن الفرق الأخرى التى ظهرت بعد وفاة الرسول ، كالذى رواه أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى المتوفى سنة ٢٧٦ للهجرة فى كتابه « عيون الأخبار » عن المغيرة من أنه كان « سبابياً » وأنه كان من الغلاة(٢)

وكان « المغيرة » وهو المغيرة بن سعد مولى لبجيلة من السبابين . وقد أصلح جماعة من المحققين والناشرين المخطوطات القديمة واستبدلوا « بالسبابية » السبائية و « بسبابى » سبائى لشيوع « السبائية » وشهرتها . ورد فى النسخة الخطية «لعيون الأخبار » « وأما المغيرة فكان مولى لبجيلة وكان سبابياً وصاحب بيان نجات » فاستبدل محقق هذا الكتاب بكلمة « سبابياً » كلمة « سبائياً» أى من السبائية « أتباع عبدالله بن سبأ . وقد اعتمد فى ترجيحه هذه الكلمة على ما جاء فى مفاتيح العلوم للخوارزمى(٣) وعلى ما جاء فى العقد الفريد (٤) وفى القاموس(٥)

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٢٣
(٢) عيون الأخبار ج ٢ ص ١٤٩ طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٢٨
(٣) مفاتيح العلوم ص ٣١ طبعة أوربا
(٤) العقد الفريد ج ١ ص ٢٦٧
(٥) عيون الأخبار ج ٢ ص ١٤٩ ، القاموس مادة سبأ .

كما استبدل السيد سعيد العريان محقق « العقد الفريد » « بعبد الله بن السباب » عبد الله بن السوداء . ومعنى هذا أن عبد الله بن السوداء شخص آخر غير عبد الله بن سبأ كما جاء ذلك لدى البغدادى . وأعتقد أنه لا داعى إلى هذا التبديل فلعل « ابن السباب » من « السبابية » وهى إحدى المصطلحات القديمة التى كانت تطلق على الجماعة التى كانت تسبّ قسماً من الصحابة . وعلى كل فنحن لا نعرف أى شىء عن هذا الشخص الذى سماه الرواة « عبد الله بن السباب » ولا عن الشخص الآخر الذى سمّاه صاحب العقد الفريد « ابن كروّس »(١)

ويذهب أكثر الرواة إلى أن « عبد الله بن سبأ » هو من أهل اليمن . وقال بعضهم أنه من حمير؛ ولذلك قيل له «الحميرى»(٢) وقد عرف « كعب الأحبار » وهو يهودى مسلم بالحميرى كذلك ؛ غير أننا لا نستطيع أن نقطع بأنه كان من حمير أى من صميم « حمير » فيجوز أن يكون من المنتسبين إليها بالولاء . وهنالك رجل آخر له شهرة فى التاريخ قيل عنه أيضاً إنه كان يهودياً أو من أصل يهودى ، هو « وهب بن منبه » ثم أسلم وأسلم أهله . وقد ميز عن صاحبيه بلقب هو « الأبنوى » ويعنى هذا اللقب أنه كان من « الأبناء » أى من أبناء جنود الفرس الذين كانوا قد جاءوا إلى اليمن قبل الإسلام لطرد الأحباش . وزعم الطبرى فى تأريخه أنه كان من أهل صنعاء (٣) أما الشعبى فقد ذهب إلى أن عبد الله بن السوداء كان من أهل الحيرة . ونحن لا نستطيع رفض رواية الطبرى كما لا نستطيع قبولها . ولا نستطيع أيضاً تصديق رواية الشعبى ولا تكذيبها . حتى أننا إذا ما أخذنا بالرواية الثانية فإنها لا تتعارض مع الرواية الأولى إذ يجوز أن يكون من أصل يمانى هاجر إلى الحيرة فى العراق (٤) . كما أن من الجائز أن يكون اسم « سبأ » هو الذى أوحى إلى الرواة بهذه القصة قصة موطن « عبد الله » وانتسابه إلى اليمن ومن اليمن فى صنعاء .

وأستطيع أن أقول وأؤكد أن اشتهار « عبد الله »

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٤١
(٢) ابن حزم . Shiiteo 1, 37
(٣) Friedländer, S ' 22 .
(٤) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٢٣

بابن السوداء لم تكن شهرة تسره ، كما لم تكن شهرة تسر أتباعه إن كان له أتباع حقاً . وقد استعملت هذه الكلمة دوماً للتحقير والازدراء . وقد عير بها « عمار بن ياسر » حينما تجاسر وتطاول على الخليفة عثمان بن عفان فكان من جملة ما قاله الخليفة « ويلي على ابن السوداء ! لقد كنت به عليما » (١) وقد عير بها « المقداد ابن الأسود » فقيل له « يا ابن السوداء » (٢) . ولما غضب أبو ذر الغفاري على كعب الأحبار قال له « يا ابن اليهودية » و « يا ابن السوداء » (٣) .

ويكاد يكون في حكم الإجماع بين الرواة الذين ذكروا خبر عبد الله بن سبأ أنه كان يهودياً . وقد أيد علماء الشيعة ذلك أيضاً مثل النوبختي والكشي والكليني المحدث الشيعي الشهير صاحب كتاب « الكافي » في أحاديثه عن الإمام الصادق في عبد الله ابن سبأ (٤) . ويظهر من دراسات هذه الروايات أنها ترجع في الواقع إلى أوائل العصر العباسي وأواخر العصر الأموي .

وقد كانت « صنعاء » عاصمة اليمن في أيام الأحباش قاعدة مهمة لليهود . والظاهر أنهم أقاموا بها منذ مدة قبل غزو الأحباش لليمن . وأنهم صاروا يشعرون بطمأنينة بال وراحة في هذه المدينة ، فربطوا حوادثها بالتوراة وقالوا إنها مدينة « أزال » « أوزال » التي ورد خبرها في الكتاب المقدس (٥) . فهل كان « عبد الله بن سبأ » أحد هؤلاء اليهود الذين حافظوا على ديانتهم إلى أيام الخليفة عثمان بن عفان حتى إذا أسلم تملكته حمى التنقل من مكان إلى مكان ومن قطر إلى قطر داعياً الناس إلى دعوات غريبة ، طمعاً في إثارة الفتنة وخلق الفوضى في صفوف المسلمين . فزار الحجاز وذهب إلى البصرة فالكوفة فالشام فمصر ، واتصل بكل هذه الأقطار عن طريق المراسلة حتى تمكن من تأجيج نار فتنة لم تخمد حتى اليوم ؟

والعجيب أن رجلا كهذا الرجل لم يسجل الرواة حوادثه ولا أخباره ، ثم ينصاع له شيوخ من شيوخ المسلمين ، ولا يتقدم أحد لقتله أو سجنه على هذه المقالات التي كان يظهرها وهو في صورة مسلم يدين بالإسلام .

ذكر الطبري أنه لما مضى من إمارة ابن عامر ثلاث سنين بلغه أن في عبدالقيس رجلا نازلا على حكيم بن جبلة ، وكان حكيم ابن جبلة لصاً ، إذا قفل الجيوش خنس عنهم فمشى في أرض فارس فيغير على أهل الذمة ويتنكر لهم ويفسد في الأرض ويصيب ما شاء ثم يرجع . فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة إلى عثمان فكتب إلى عبد الله بن عامر أن احبسه . ومن كان مثله فلا يخرجن من البصرة حتى تأنسوا منه رشداً . فحبسه ، فكان لا يستطيع أن يخرج منها . فلما قدم ابن السوداء نزل عليه واجتمع إليه فتفرقطرح لهم ابن السوداء ولم يصرح . فقبلوا منه واستعظموه . وأرسل إليه ابن عامر فسأله ما أنت ؟ فأخبره أنه رجل من أهل الكتاب رغب في الإسلام ورغب في جوارك . فقال ما يبلغني ذلك ، أخرج عني . فخرج حتى أتى الكوفة فأخرج منها ، فاستقر بمصر وجعل يكاتبهم ويكاتبونه ويختلف الرجال بينهم » (١)

والمعروف أن ولاية « عبد الله بن عامر » على البصرة ، بعد عزل أبي موسى الأشعري عنها ، إنما كانت في سنة تسع وعشرين للهجرة في عهد الخليفة عثمان بن عفان (٢) فيكون مجيء عبد الله ابن سبأ إلى البصرة إذاً في سنة ٣٢ — ٣٣ للهجرة ، أي في السنة الثالثة من حكمه كما أخبر بذلك الطبري ...

(للبحث بقية)

جواد علي

(١) اليعقوبي حـ ٢ ص ١٤٧

(٢) اليعقوبي حـ ١ ص ١٨٧ طبعة « Houtsma » وص ١٩٨

(٣) Fridländer ' P ' 28

(٤) راجع الكافي في أحاديث الإمام الصادق . طبعة محمد عبد الرحيم

(٥) Hastings . P, 956 . Harris' et — Yemen . P, 313 .

مبادىء المبادىء

دستور عملي للحياة المثالية السعيدة

مع الباعة ٨ مايو سنة ١٩٤٨

ويطلب من دار الكتب الأهلية بميدان الأوبرا بمصر

الثمن خمسة قروش صاغ